

التوثيق القرآني

لمواقف الصالحين من الأمم السالفة في مواجهة
التحديات من وحي الشعور بالمسؤولية

المدرس الدكتور

علي الاسدي

جامعة فردوسي / كلية الألهيات

جمهورية إيران الإسلامية / مشهد المقدسة

التوثيق القرآني لمواقف الصالحين من الامم السالفة في مواجهة التحديات من وحي الشعور بالمسؤولية

المدرس الدكتور

علي الاسدي

جامعة فردوسي / كلية الألهيات

جمهورية إيران الإسلامية / مشهد المقدسة

خلاصة البحث:

يحوم هذا البحث حول مواقف طيبة كريمة نوّه بها القرآن الحكيم لأناس صالحين شعروا بمسؤوليتهم فأحسنوا في صنع تلك المواقف المحمودة التي دلّت على بصيرة ثاقبة ووعي سليم. ويسلّط هذا البحث أيضاً الأضواء على تلك المواقف برؤية تحليلية لتدلّ على قيمة سامقة من القيم التي يزخر بها القرآن المجيد، وعلى مفهوم في غاية الروعة من المفاهيم القرآنية. فهو إذاً ذو طابع عمليّ حركيّ له قدره في الواقع الاجتماعيّ، وله قسطه في تبيان مفاهيم قرآنية رفيعة مازال بعضها رهين الأفكار أو حبيس النظريات التي لا ترفد شيئاً في كثير من الأوقات؛ إذ إنّ آية القرآن أنّه كتاب للعمل لا للتنظير. وخطاب هذا البحث بإيجاز؛ تعيّن الشعور بالمسؤولية ولزومه لدى كلّ مسلم ومسلمة، وضرورة صنع المواقف الحميدة التي قد تغيّر مجرى تاريخ بحذافيره. وهو في الحقيقة استنباط لمواقف قرآنية تدعونا جميعاً إلى اتّخاذ مواقف مماثلة لها. وقد يعالج شيئاً من داء الغفلة. وقد يقلّص ظاهرة «الهجر» التي تدلّ على ظلامه القرآن؛ ﴿يَرْبِّ إِنَّا قَوْمٌ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(١).

المفردات الدليلية: الشعور - المسؤولية - الموقف - المثل الأعلى - الرسالية.

المقدمة

إن من عجائب القرآن التي لا تفنى وغرائبه التي لا تنقضي هي أنه يلهم كل من أراد أن يستلهمه ويرفد كل من يروم استرفاده على تواتر الأزمنة والدهور. وهذه من آيات عظمته وروائعه التي ترغم العقول على التسليم له. ولا يتأتى هذا إلا للمتأمل الهادف الذي ينتهجه، وهو على بصيرة، مُقبلاً حقاً. ولا غرو فهو نفسه يدعو إلى التدبر والتفكير. وتلك مزية تفوق كل مزية إذ يريد لأتباعه ولسائر الناس أن يكونوا أولي بصيرة ووعي وينهجوا سبيلهم راشدين واعين كما يريد منهم أن يكونوا بمستوى المسؤولية غير متفرجين ولا محايدين حياداً غير ذي نفع.

ومما يلهم الطالبين ويرفدهم هو المواقف التي وردت فيه، فالمتدبر المتفكر، إذا كان ذا سبج فيه، يقف على آيات تنطق بمواقف محمودة نابعة من شعور حي متدفق بالمسؤولية. وخليق بالذكر أن هذا الشعور يدل على أنه حركة أكثر من أن يكون مفهوماً مجرداً.

وهنا تتبين لنا روعة كلام رسول الله (ﷺ) إذ يقول: «القرآن مأدبة الله، فتعلموا من مأدبة الله ما استطعتم»^(٢).

وكذلك يستبين لنا جمال كلام الإمام السجاد علي بن الحسين (عليه السلام) إذ يقول: «آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها»^(٣). وفي مأثور آخر عنه أيضاً: ما نصه: «آيات القرآن خزائن العلم، فكلما فتحت خزانة فينبغي لك أن تنظر فيها»^(٤).

ومن خزائنه خزانة المواقف الطيبة الحميدة التي إزدانت به وتألفت من قبس الشعور بالمسؤولية، ولم تفتح إلا بمفتاح التدبر والتفكير. وما يتناوله هذا البحث هو تعريف الشعور بالمسؤولية، وطبيعته وأهدافه، ثم مظاهره ودعوة

القرآن الكريم إليه، يلي ذلك التعريف بالمثل الأعلى للشعور بالمسؤولية، ثم التعرّيج على المواقف التي ذكرها القرآن، وأبرزها وأهمّها عشرة مواقف دارت عليها مضامين هذا البحث.

الشعور بالمسؤولية لغة واصطلاح:

قبل الدخول في الموضوع تناسب الإشارة إلى أنّ الشعور بالمسؤولية حسّ باطنيّ يجعل صاحبه مستعدّاً لإجراز كلّ مايلزم. أمّا الموقف فهو تجسيد عمليّ لذلك الحسّ، ويستتبع عادةً تغييراً ملموساً أو إصلاحاً محسوساً أو تحسيناً ملحوظاً. وقد يكون شعور بالمسؤولية ولا يتطلّب موقفاً عملياً كالذي يتقن عملاً يناط به ومثل ذلك، كما قد يتّخذ موقف معيّن من قضية غير مسبوق بشعور ما كبعض المواقف الآتية التي تصنعها الفورات العاطفية.

والشعور بالمسؤولية صفة تحمل الإنسان على إتقان العمل المخوّل إليه، أو إنجاز عمل محمود، أو إبداء رأي سديد، أو تقديم معونة مناسبة، أو إسداء معروف فهي أداء لواجب أو اضطلاع بأمر حميد طوعية، أو أمر بالعرف في البيان القرآني، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَمَلْ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٥) والشعور المقصود في هذا البحث هو الشعور الذي يُنتج الموقف الطيب الكريم من أجل الحق والقيم الصحيحة. أي: هو صنع الموقف المطلوب في كلّ قضية، علماً أنّه لا يقتضي في بعض الأحيان صنع موقف معيّن كما أُشير إليه في المقدمة.

طبيعة الشعور بالمسؤولية - أهدافه:

تتكوّن هذه العبارة من كلمتين هما الشعور والمسؤولية. والشعور هو الإحساس الكامن في النفس ومركزه القلب. ولا يعتمل إلا عند لبيب يتمثله فيُمثّله. ويطلق أيضاً «على العلم بما في النفس أو بما في البيئة، وعلى ما يشتمل عليه العقل من إدراكات ووجدانيات ونزعات. ولذا قالوا: إنّ للشعور ثلاثة مظاهر هي:

الإدراك، والوجدان، والنزوع». ^(٦) أما المسؤولية فهي مصدر صناعي مصوغ من اسم المفعول ليدلّ على وصف يُعرف ويُرجى منه شيء. وقد يُطالب بآثره ويُسأل عن عائدته. أو هي «حال أو صفة من يُسأل عن أمرٍ تقع عليه تبعته... وتُطلق أخلاقياً على التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً» ^(٧). فالمتمّصف به هو الذي يشعر أنّه مسؤول أمام الله تعالى إذا كان متديّناً موقناً، وأمام الضمير إذا كان لبيباً فاكراً، وأمام الناس إذا كان آدمياً مبالياً؛ أو هو الناصح الشفيق في المأثور من كلام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ^(٨). فأركان الشعور هذا هي الانسان ومراقبوه الثلاثة: الله سبحانه، والضمير، والناس. وقيل: إنّ الضمير صوت الله في داخل الانسان. فالشعور هو استجابة لنداء الضمير.

والشعور بالمسؤولية قيمة إنسانية رفيعة بل هو تجسيد حيّ للإنسانية. فصاحبه يرمي إلى بيان الهوية الحقيقية للإنسان، والاستجابة لنداء الضمير، وإشاعة منطلق المبالاة والاهتمام بالأُمور بلا فضولية ولا تطفل، وإحلال القيم الصحيحة مكان القيم الغالطة، ورفد المجتمع مادياً ومعنوياً، وقطع دابر الأدوية الناهضة كالأثرة والشح ومثلهما، وترويض النفوس البشرية على ممارسة الفضائل، وتطيينها. فهو واجب أخلاقي إنساني اجتماعي يقطر سموً ونبلاً. وهو فضيلة لها بالغ الأثر في العلاقات الاجتماعية. ولايستتلي عادة إلا رفع العناء عن الناس، وراحة الضمير، ورخاء البال، وجميل الذكر، وحسن الثناء.

بيد أن آفات قد تعتري هذا الشعور بين حين وآخر. ومنها بلادة الفكر؛ واستحواذ الأنانية؛ وعثرة الغفلة؛ ونبوة الظروف؛ وفتور النفس وتثاقلها.

مظاهر الشعور بالمسؤولية :

يتبين الشعور بالمسؤولية في إعمال الحسّ الديني كالتذكير بالله تعالى

والآخرة مثلاً؛ والصدق بالحق؛ والإخلاص في العمل؛ والصدق في التعامل؛ والتسليم للحقيقة بعد بيانها؛ وكتمان السرّ؛ والوفاء بالعهد؛ والإنصاف في التقويم؛ وقضاء حوائج الناس؛ وإقراء الضيف، والتثبت قبل الحكم على الأشياء؛ والتصرف السليم عند ممارسة الأعمال المتنوعة؛ والتفكير بحقوق الآخرين، ونظير ذلك. ومن معالم هذا الشعور أيضاً الإعانة على الحق، كما أثر عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قوله: «رحم الله امرأً رأى حقاً فأعان عليه، أو رأى جوراً فردّه وكان عوناً بالحقّ على صاحبه»^(٩)؛ والإيضاء بخصومة الظالم، وعون المظلوم^(١٠)؛ وإصلاح ذات البين^(١١)؛ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهل هذا كلّهُ أو جُلّه ماثل في القرآن الكريم؟ والجواب هو ما نجده في القسم الآتي من المقالة.

دعوة القرآن الكريم إلى الشعور بالمسؤولية . ٤:

إنّ معظم الأوامر والنواهي القرآنيّة هي دعوة غير مباشرة وغير صريحة إلى الشعور بالمسؤوليّة. فالأمر بالصلاة والصوم والحجّ والجهاد ودفع الخمس والزكاة والإنفاق وإطاعة الله ورسوله وأولي الأمر، الذين هم أهل البيت النبويّ الكريم، والدعوة إلى الله وتحكيم الدين والأمر بالمعروف، وغيرها من الأوامر، والنهي عن الشرك وعن كلّ منكرٍ ومحرّمٍ وذميمةٍ من الأخلاق وسواها من النواهي، كلّ أولئك دعوة إلى الشعور بالمسؤولية دعوة غير مباشرة. بيد أنّنا نقرأ في الكتاب العزيز آيات صريحة في دعوتها إلى ذلك. وعددها تسع آيات. وهي قوله تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١٢)؛ وقوله سبحانه: قَالَ تَعَالَى: أَغُوذُّ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَاتِبٌ مَسْئُولًا﴾^(١٣)؛ وقوله تبارك اسمه: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١٤)؛ وقوله جلّ شأنه: ﴿لَوْ لَا

يَنهَهُمُ الرَّبُّونَ وَالْأَجَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنَّمَا أَكَلِمَةُ السُّحْتِ ﴿١٥﴾؛ وقوله بورك كنهه: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَبْهَتٍ عَنِ الْفَاسَادِ فِي الْأَرْضِ...﴾ ﴿١٦﴾؛ وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ...﴾ ﴿١٧﴾ - والماضي هنا بمعنى المضارع؛ وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ ﴿١٨﴾؛ وقوله جلَّ اسمه: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٩﴾؛ وقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾.

فالآية الاولى واضحة أشدّ الوضوح إذ توجب على كل شخص أن يشعر بمسؤوليته فانه يُطالب بذلك ويُسأل عنه. وقال السيّد الطباطبائي: «...فقد تبين به أن المسؤول عنه هو كل حقّ أعرضوا عنه في الدنيا من اعتقاد حقّ أو عمل صالح استكباراً على الحقّ»... ﴿٢١﴾.

وأما الآية الثانية فهي بيّنة في أنّها تحتم على كل إنسان أن يشعر بمسؤوليته المتمثلة بالوفاء بالعهد. «وقيل إنّ كلّ ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد» ﴿٢٢﴾. «وقيل: إنّ معناه إنّ العهد يُسأل فيقال له: بما نُقضت كما تُسأل المؤودة بأيّ ذنب قُتلت» ﴿٢٣﴾.

وأما الآية الثالثة فهي ذات حسّ حركيٍّ، وهي جليّة جدّاً في الدعوة إلى الشعور بالمسؤوليّة المتجسّدة بتنظيم أمة تدعو الى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وأما الآيات الست الأخرى فإنّها تحضّ على الشعور المذكور لأنّ الفعل المضارع بعد لولا يفيد التحضيض كما يقول النحاة ﴿٢٤﴾.

وتستبين حقيقة الشعور المذكور أيضاً في تبشير الله تعالى للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ ﴿٢٥﴾ لأنّهم أناس يشعرون بالمسؤوليّة، وموقفهم الحميد أنّهم يتبعون أحسن الأقوال عن وعي وبصيرة.

وكذلك الذين يسجدون ويبكون ويزداد خشوعهم إذا تلى عليهم القرآن، فهم أصحاب موقف كريم وإحساس سليم لأنهم أولو علم يستجيبون للحق ويتفاعلون معه عن معرفة حثتهم على ذلك ﴿... إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿٢٧﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُوتُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿٢٨﴾﴾.

ولما عتب البعض على من وعظ من وحي الشعور بالمسؤولية أوجب أنه معذرة إلى الله، ولعل الموعوظ يتعظ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٧﴾﴾. كل أولئك ومثله علم على الشعور بالمسؤولية المقصودة، وكفى به مبيناً. والقرآن الكريم زاخر بأمثلة كثر تعدد مناراتها لمن يبتغي النور. وحري بالذكر ما حفلت به السنة النبوية وهدى أهل البيت النبوي الكريم من أمثلة أخرى، ليس هنا موضع ذكرها.

المثل الأعلى للشعور بالمسؤولية في القرآن الكريم:

إن المثل الأعلى للشعور بالمسؤولية هو سيد الأولين والآخرين وسيد الأنبياء والمرسلين أسوتنا الحسنة رسول الله محمد (ﷺ)، إذ نقرأ في التنزيل العزيز خمس عشرة آية تدلنا على ذلك وترشدنا إلى أنه (ﷺ) كان أعظم من شعر بمسؤوليته «وأدى ما حمّله الله إلى العباد، وجاهد في الله عز وجل حق الجهاد»، كما جاء في دعاء من أدعية الإمام السجاد (عليه السلام) (٢٨). وتوقفنا على حقائق حقيقة بالتأمل والتفكير. وهذه الآيات هي قوله: ﴿طه ﴿٢٨﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢٩﴾؛ وقوله: ﴿فَلَمَّا كَبِخَ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٣٠﴾؛ وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسَكَ الْإِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾؛ وقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ﴿٣٢﴾؛

وقوله: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٣٣)؛
 وقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
 بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣٤)؛ وقوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٣٥)؛
 وقوله: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ...﴾^(٣٦)؛ وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا
 يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾^(٣٧)؛ وقوله: ﴿مَدَنَلَمْ إِنَّهُ لَيَحْزَنكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا
 يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(٣٨)؛ وقوله: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ
 أَمْرَ اللَّهِ جَمِيعٌ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣٩)؛ وقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا
 مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا...﴾^(٤٠)؛ وقوله: ﴿فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا
 يُعْلِنُونَ﴾^(٤١). وقوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا
 يَمْكُرُونَ﴾^(٤٢)؛ وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٤٣).

ونكتفي بالتعليق على ثلاث آيات. في الآية الأولى يقول له: ما أنزلنا القرآن
 لنُتعب نفسك في سبيل تبليغه بالتكلف في حمل الناس عليه^(٤٤). وفي الآية الثانية
 يقول له: مُهلك وقاتل نفسك على آثار قومك ... إن لم يصدقوا بهذا القرآن الذي
 أنزل عليك حزناً وتلهفاً ووجداً بإدبارهم عنك وإعراضهم عن قبول ما أتيتهم به.
 وقيل: على آثارهم، أي: بعد موتهم لشدة شفقتك عليهم^(٤٥). ويقول له في الآية
 الثالثة: «لعلك مُهلك نفسك وقاتل نفسك بأن لا يكونوا مؤمنين وبأن يقيموا على
 الكفر. إنما قال ذلك سبحانه تسلياً لنبيه (ﷺ) وتخفيفاً عنه بعض ما كان يصيبه
 من الاغتمام لذلك»^(٤٦).

وجميل القول: إن الآيات الكريمة كلها تستأهل التأمل والتدبر، وتسترعي
 الأنظار. فهي تدلّ على حبه الشديد (ﷺ) لربه ورسالته، وتحمسه وحرصه على
 هداية قومه، وعظيم إخلاصه لهدفه ومهمته، ونصبه في عبادته ودعوته، وشفقته

على رهطه، ورأفته بالمؤمنين، وشعوره بثقل مسؤوليته. وحزنه المذكور في الآيات الثمان ليس على نفسه المقدسة الشريفة بل على قومه الذين لم يستجيبوا للحقّ عتواً ونفوراً منهم، فتحسّر عليهم لله سبحانه وتعالى. فهو — بحقّ — المثل الأعلى للشعور بالمسؤولية. ومن أراد أن يتوقّد عنده الشعور المذكور فأُسوته رسول الله (ﷺ). وهو القائل (ﷺ) في حديث ننقل مضمونه هنا، وهو يستبطن دعوةً إلى الشعور بالمسؤولية: «إنّ قوماً ركبوا في سفينةٍ فاقتسموا. فصار لكل رجل منهم موضع، فنقر رجلٌ منهم موضعه بفأس، فقالوا له: ما تصنع؟ قال: هو مكاني أصنع فيه ما شئتُ. فإن أخذوا على يده نجا ونجوا، وإن تركوه هلك وهلكوا»^(٤٧).

فهذا الحديث بيان للناس يشعّ منه الشعور بالمسؤولية، والاهتمام بأمر الآخرين، والوقوف بوجه الجريمة والمجرمين. ويريد منا ترك منطق اللامبالاة والانعزال، ويرفض أصحاب الضمائر الميتة في المجتمع. وهو بعدُ موعظة شافية ونصيحة وافية.

المواقف الحميدة النابعة من الشعور بالحيوة:

إنّ أهمّ المواقف التي ذكرها القرآن الكريم آياتٍ على الشعور بالمسؤولية هي — فيما أحسب — عشرة مواقف ما عدا مواقف الأنبياء وأهل البيت (عليهم السلام)، كموقف إبراهيم (ﷺ) في ضرب الأصنام، وموقف ابنه اسماعيل (ﷺ) حين أراد أبوه (ﷺ) ذبحه، وموقف موسى (ﷺ) من بنتي شعيب (ﷺ) حين سقى لهما؛ وموقف يوسف (ﷺ) من إخوته؛ وموقف أمير المؤمنين عليّ (ﷺ) في تصدّقه بخاتمه؛ وموقف أهل البيت (ﷺ) في إطعامهم الطعام، وأمثالها من المواقف التي ذكرها القرآن الكريم.

ورسالتها وخطابها لنا أن نكون من أهلها، ونصنع — عند الحاجة — مثلها؛

وأنّ الإنسان المؤمن موقف بل مواقف، وقيّمته رهينة بموقفه الرساليّ، ولا نفع في إيمانه إلّا بموقفه. وياحسرة على الأكثرية التي تؤمن ولا موقف لها، أو تُسيء في بعض مواقفها! وقلّ من يتخذ موقفاً شافياً «أولئك الأقلّون عدداً». وجدير بالذكر أنّ صنع الموقف يحتاج إلى توفيق من الله سبحانه، وبصيرة وقادة، وشجاعة فائقة، وشهامة كريمة.

وفيما يأتي المواقف العشرة المذكورة:

موقف السحرة حين تحدّوا فرعون وآمنوا بالله جلّ شأنه.

١. موقف مؤمن آل فرعون من قومه.

٢. موقف الذي جاء من أقصى المدينة يسعى وطلب من أهل انطاكية إتباع رسل عيسى (عليه السلام) إليهم .

٣. موقف الناصح لموسى عليه بالخروج من مصر بعد إئتمار الملأ به ليقتلوه.

٤. موقف امرأة فرعون إذ عرضت على فرعون وجنوده ألا يقتلوا موسى (عليه السلام) يوم كان وليداً.

٥. موقف ملكة سبأ حين أسلمت مع سليمان (عليه السلام) لله رب العالمين .

٦. موقف النفر من الجنّ الذين طلبوا من قومهم إجابة داعي الله والإيمان بالقرآن.

٧. وقف أصحاب الكهف صيارفة الكلام من قومهم.

٨. موقف الرجلين اللذين أنعم الله عليهما فقالا لبني إسرائيل: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَاكِ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غُلَبُونَ﴾ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾.

موقف الذين اوتوا العلم من قارون وزينته:

ونقرأ في القرآن أيضاً مواقف أخرى لاستعرضها كالمواقف السابقة بل

نشير إليها هنا عابراً، وهي موقف ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ

مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ
مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤٩﴾، وموقف عباد الرحمان المتمثل بقولهم:
﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ (٥٠)، وموقف صاحب الجنة إذ قال له: ﴿كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ...﴾ (٥١) وأمثالها من المواقف.

١. موقف السحرة :

إن أعظم موقف نوّه به القرآن الكريم هو موقف السحرة الذين شعروا
بالمسؤولية فصنعوا ذلك الموقف الجليل الذي لا يأتي عليه الوصف. وموقفهم هذا
مذكور مفصلاً في سورة طه (٥٧ - ٧٦) إذ اختصّ بعشرين آية منها، ثم في
سورة الأعراف (١١٣ - ١٢٦)، وله فيها أربع عشرة آية، وتناولته إحدى
عشرة آية من سورة الشعراء (٦١ - ٥١)، وأشارت إليه إشارة عابرة ثلاث
آيات من سورة يونس (٧٩ - ٨١). ونكتفي هنا بذكر الآيات الواردة بشأنهم في
سورة طه.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ﴿١﴾ فَلَنَأْمِنَنَّكَ بِسِحْرِ
مِثْلِهِ ۖ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوًى ﴿٢﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن
يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٣﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٤﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَقْتُلُوا عَلَى
اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٥﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦﴾
قَالُوا إِنَّ هَٰذِينَ لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْأَمْنَىٰ ﴿٧﴾ فَاجْمَعُوا
كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا ۖ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٨﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّمَا أَنَّا بَشَرٌ ۖ وَإِنَّمَا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَن
أَلْفَىٰ ﴿٩﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿١٠﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً
مُوسَىٰ ﴿١١﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفْ ۖ إِنَّا أَنَا أَتَىٰ ۖ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا

يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٥١﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٥٢﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقِطَعُونَ أَيْدِيكُمْ وَأُزْجَلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا ضَلَّيْتُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنْتَعْلَمَنَّ أَئِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٥٣﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَسَنِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٥٤﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفَرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٥٥﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٥٦﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٥٧﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٥٨﴾

نجد في هذه الآيات الكريمة أنهم قد خيروا موسى (عليه السلام) بين أن يُلقَى أو يكونوا أول الملقين و«تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يتخاضوا في الجدل... وقولهم: (وإما أن...) فيها ما يدل على رغبتهم في أن يُلقوا قبله» (٥٣).

ونلاحظ فيها ثقة موسى (عليه السلام) بموقفه واطمئنانه إليه إذ طلب منهم أن يُلقوا قبله لتتبين هشاشة موقفهم. بيد أنه (عليه السلام) لم يوجس خيفة على نفسه بل أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال كما أثر هذا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٥٤). وتفسيره (عليه السلام) لقوله تعالى: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ أحسن تفسير وأفضل تبرئة لنبي الله من الشك في أمره (٥٥).

و نرى في الآيات أن السحر كيد لا يُفلح صاحبه. ونقف فيها على سر عظمتهم إذ أبدعوا في إثبات ماهية تخصصهم بسجودهم فوراً «لأنهم كانوا في الطبقة العليا من علم السحر. فلما رأوا ما فعله موسى (عليه السلام) خارجاً عن صناعتهم عرفوا أنه ليس من السحر البتة. ويقال: قال رئيسهم: كنا نغالب الناس بالسحر، وكانت الآلات تبقى علينا لو غلبنا، فلو كان هذا سحراً فأين ما ألقيناه؟ فاستدلوا

بتغيّر أحوال الأجسام على الصانع العالم القادر، وبظهورها على يد موسى (عليه السلام) على كونه رسولاً صادقاً من عند الله تعالى. فلا جرم تابوا وآمنوا وأتوا بما هو النهاية في الخضوع وهو السجود ... وقال صاحب الكشاف: ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود. فما أعظم الفرق بين الإلقاءين!« (٥٦).

وتنازلوا عن تجربة طويلة من العمل الذي كانوا يتعاطونه، وأسلموا للحق الذي أدركوه عن بصيرة. «وهنا تخترق الحقيقة قلوب أهل العلم وتضيء لهم الحق في دعوة موسى فلا يملكون سوى أن يخروا سجداً: ﴿أَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾. فتأخذ فرعون دهشة الحق، ويتوعد بجلجلة الباطل: ﴿أَمَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ أَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾. فيعتصمون بسلطان الحق ويشرق عليهم نوره، ولا يعبأون بتهديده، شأن العلماء الواثقين بعلمهم (لن نؤثرك على ماجاءنا من البيّنات والذي فطرنا قاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا). وستلقى جزاءك» (٥٧).

وضرب السحرة المثل الأعلى في تطويع أنفسهم على الإقبال على حقيقة جليلة لمسوها. وانفتحوا على الايمان بكل قوة، وبكل إبتهال وخشوع... وبدأت حرب الأعصاب بالتهديد بالعذاب وقطع الأيدي والأرجل والصلب ليتراجعوا... فلم يتراجعوا... وواجهوه بالإيمان القوي الصامد الذي لا يتزلزل ولا ينهار ولا يتراجع أمام كل أساليب التهويل والتهديد. وكان الموقف من أسمى المواقف التي تجسد الثبات على العقيدة أمام قوى الكفر والطغيان حتى الموت (٥٨).

وأبدوا شجاعة فائقة نادرة المثل في التعبير عن ضلال سبيلهم وتنازلهم عن معتقداتهم واعترافهم بخطأهم من جهة، وتحدي طاغية كان يرى نفسه إلهاً ورباً من جهة أخرى. «وقد جاؤا بالعجب العجيب في مشافهتهم هذه مع فرعون،

وهو الجبار العنيد الذي ينادي (أنا ربكم الأعلى) ويعبده ملك مصر فلم يُذعرهم ما شاهدوا من قدرته وسطوته. فأعربوا عن حجتهم بقلوب مطمئنة، ونفوس كريمة، وعزم راسخ، وإيمان ثابت، وعلم عزيز، وقول بليغ؛ وإن تدبرت ما حكاها الله سبحانه من مشافهاتهم ومحاورتهم فرعون في موقفهم هذا في هذه السورة (الأعراف) وفي سورتي طه والشعراء أرشدك ما في خلال كلامهم من الحجج البالغة إلى علوم جمّة، وحالات روحية شريفة، وأخلاق كريمة. ولولا محذور الخروج عن طور هذا الكتاب لأوردنا شذرةً منها في هذا المقام»^(٥٩).

إنهم لما رأوا أنّ عصا موسى (ﷺ) ليست من سنخ السحر الذي كانوا بارعين فيه إستسلموا ولم يصروا في عتوّ ونفور. وهذا من معالم عظمتهم ودروس مجدهم. ونرى أنّ فرعون قد أنكر عليهم أن يؤمنوا قبل أن يأذن لهم كأنّ عملية الإيمان تحتاج إلى الإذن الفرعونيّ ... وتلك هي سيرة الطغاة وعقليّتهم في كلّ زمان ومكان.

«ولم يُفلح تهديده لهم في جعلهم يتراجعون عن موقفهم، بل وقفوا موقف اللامبالاة بكلّ صرخات التشنّج التي يطلقها فرعون، ليقولوا له بكلّ قوّة: إنّنا لن نؤثرك على ما شاهدناه من البيّنات على الحقّ. فافعل ماتريد، فليس أمامك إلّا أن تقضي علينا. ولن يُشقينا ذلك، بل يُسعدنا لأنّنا سنحصل على السعادة في الفوز بالشهادة في سبيل الله، ومن أجل الوقوف مع كلمته وقفة إيمان كبير - وعلى كلّ حال - فإنّك إنسان زائل لا تملك إلّا القليل...»

إنّه الموقف الرائع، والنموذج العظيم للإيمان الصامد أمام الكفر الطاغوي في أروع صورة للصراع الدامي بين قوى الكفر والطغيان، وبين قوى الحق والإيمان»^(٦٠).

ومن معالم عظمتهم وجلالة موقفهم الحميد أنّهم لم يبالوا بتهديد فرعون

لهم لأنهم استغرقوا لما تجلّى لهم نور هذه الكلمة فلم يلتفتوا إلى قطع الأيدي والأرجل^(٦١).

ونقل الزمخشري عن قتادة أنهم كانوا أول النهار كفّاراً سحرة، وفي آخره شهداء بررة. وعن الحسن: تراه ولد في الإسلام، ونشأ بين المسلمين، يبيع دينه بكذا وكذا. وهؤلاء كفّار نشأوا في الكفر، بذلوا أنفسهم لله^(٦٢). وتتمثل قيمة موقفهم بإيثارهم الحقّ على ما اعتقدوا به، واستقامتهم على ما آمنوا به، وثباتهم على المبدأ رغم ما فتنوا به، فما أجل موقفهم وما أولاه بالحمد والثناء!

٢. موقف مؤمن آل فرعون:

وهو الموقف الرساليّ الثاني الذي أنتجه الشعور بالمسؤوليّة ودلّ على وعي متميّز ورؤية إيمانيّة نافذة وحكمة محمودة. وجاء هذا الموقف الحكيم الهادف في ثمان عشرة آية من سورة غافر. وسبقها آيتان أولاهما هي الباعثة على صنع الموقف المذكور، وهي نفسها والآية الأخرى مرتبطتان بصميم الموضوع، فنذكرهما مع الآيات الثماني عشرة فيما يأتي:

قَالَ تَمَالَى: أَغُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٦٣﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٦٤﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي

وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٦٥﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٦٦﴾ يَقُولُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنَ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُولُ إِنِّي أَخَافُ

عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٢٦﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٢٧﴾ وَيَقُومُ إِنْ أَحَافَ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ﴿٢٨﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ قَدْ زَلَّمْتُمْ فِي شَكِّكُمْ مَا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ ﴿٣٠﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كُفْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣١﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنْ ابْنِي بِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُجُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٢﴾ أَسْبَابَ السَّمَنَاتِ فَأَطْلِعْ إِلَيَّ إِلَهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ كَإِذَا زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَنْقُومُ أَنْتَبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٤﴾ يَنْقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٥﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزَنُ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٦﴾ وَيَنْقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٣٧﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ﴿٣٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبِ الْأُسْرَفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٣٩﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٠﴾ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤١﴾ (غافر: ٢٦ - ٤٥).

هذا الرجل المؤمن قدوة عليا للغيرة على الدين ونموذج أسمي للغياري على دينهم. فقد شعر بمسؤوليته فأخرج الايمان من دائرته الذاتية الضيقة إلى دائرة أرحب ذات صفة رسالية حركية هادفة. وذلك سرّ جلالة قدره إذ لم يحصر الدين في نطاق الأعمال والممارسات الفردية بل أطلقه ليكون رسالة اجتماعية

عامّة للجميع وقانوناً للحكم في الحياة. وقد «قيّضه الله للحقّ الذي يدعو إليه موسى (عليه السلام) من بيئة الكفر والعناد، وأخذ يُلقي عليهم مواعظه التي من شأنها أن تستلّ من قلوبهم محاربة الحقّ، والاستكبار عن قبوله. حذّره تنفيذ ما عزموا عليه من قتل موسى، وأنذرهم عاقبة استمرارهم في الطغيان، وضرب لهم في ذلك الأمثال بمصائر المكذّبين قبلهم، كما خوفهم عذاب الآخرة الذي سينالهم يوم الجزاء الذي لا عاصم فيه من أمر الله، ودعاهم إلى اتباع الحقّ، وتلبية الهدى والرشاد، وأنكر عليهم تعلّقهم بالدنيا الزائلة، وبيّن لهم أنّ العاقل يجب أن يربط نفسه بالباقي الدائم، لا بالمتاع الفاني... والعبرة من القصّة أنّ الحقّ مهما تكتّل على إخفائه ورفضه أعوانُ الباطل، لا بدّ أن يقيّض الله له من بيئة المبطلين أنفسهم من يؤمن به، ويغار عليه، ويضحيّ بنفسه وراحته في سبيله حتى يظهره الله... وإنّ على من تبين له الحقّ وآمن به أن يبذل غاية وسعه في دعوة قومه إليه...» (٦٣).

لقد تحرّك هذا الرجل المتخفيّ مقدّماً نصيحته لقومه من الداخل ممّا كان له عميق الأثر على نفسيّاتهم ومعنويّاتهم التي اهتزّت من حوارهِ معهم وزلزلت معتقداتهم.

إنّ طبيعة الظروف الإرهابيّة التي افتعلها سلاطين الجور ، والمناخ السياسيّ القاسي يستدعي استخدام مثل هذا الاسلوب إذ يكون تأثيره أحياناً ذا فاعليّة أكبر في حركة الأحداث حيث إنّ سمة الكتمان تنطوي أحياناً على تأثير مميّز في خدمة المبدأ... وهذا ما تبينّ لنا من خلال الحوار الصريح الذي قام به هذا الرجل المؤمن على الملأ المستكبر المتمثّل بفرعون وقومه والذي يعبر عن توزيع الأدوار في تبليغ الدعوة وبأساليب مختلفة حيث استفيد من الخطّ السريّ في الجهاز الفرعونيّ كي يُستثمر في الفرصة المناسبة بطريقة حكيمة بعيدة عن

حالة المواجهة والصراع العلني^(٦٤).

إن الدروس المستوحاة من موقف هذا المؤمن العَديّ مضافاً لما ذكرنا

هي:

١. أنه يمثل ظاهرةً متألفةً حريّةً بالتأمّل والتفكّر، وباعثةً على انبثاق الأمل في ظلمات اليأس.

٢. أنه كان شديد الحرص على قومه بوصفه إنساناً رسالياً هادفاً.

٣. إن حوارهِ الجميل الهادئ مدعوم بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة المستمدة من العقل والمنطق والمأثور التاريخي. كما أنه يشجّع على التفكير ويبعث على اليقظة.

٤. إن أسلوبه في المجابهة غير مباشر، إذ اتّجه إلى قومه ليمنعهم من الاستجابة لفرعون.

٥. إن كتمانهِ إيمانه لم ينطلق من الخوف على نفسه، بل من محاولته الحصول على حريّة الحركة لخدم رسالته بأسلوب واقعيّ مرن في إطار الإحياء بالحياد والاعتدال حيال واقع التطرّف الذي يمثله فرعون. كما أن الكتمان المذكور يدلّ على أن التقيّة، التي تعني إخفاء الإيمان اتّقاء الظلم، مبدأ قرآنيّ وقائيّ مُصرّح به دون ريب أو شبهة، ولا يدع مجالاً للشكّ والتردد والانتقاد.

٦. إن نهجه الحكيم في الدعوة إلى الله سبحانه وإسناد رسوله موسى (عليه السلام) أسوةً حسنة لكلّ العاملين في سبيل الله. فقد يسّر إمكان وجود مؤمنين داعين إلى الله غير جاهرين في مجتمع كافر وبلاط كافر ظالم ليدلّ على حنكة في التدبير، وذكاء في التخطيط فتكون متابعة للعمل الرساليّ من أجل كسب أكبر عدد ممكن من الأشخاص إلى الدين، وإطلاع على الخطط الموضوعّة ضدّ الايمان وأتباعه، ومحاولة إحباطها ووأدها.

٧. إنَّ موقفه يُرشدنا إلى أن يكون الدين وحده هو المعيار في الحياة وهو الشعار أولاً وقبل كل شيء. ولا معيار لنا غيره ولا شعار. وشعاره هي الشعار التي تصبغ الحياة. كما أنَّ تذكير هذا الرجل المؤمن بماهية الحياة الدنيا وحقيقة الحياة الآخرة ومصير من يعمل سوءاً ومن يعمل صالحاً معلّم على استحضاره العلاقة بالله سبحانه ويقينه المستحكم. وكذلك تذكيره بمصائر الماضين آية على أنه من الاعتبارين. وما تصريحه بهور دعوة الكافرين في الدنيا والآخرة وهشاشة أساسها وهراء أتباعها إلا دليل على صلابة عقيدته واستقامة مبدئه ورسالية توجّهه وطمأنينة نفسه في إيمانه.

٨. إنَّ ظاهرة مؤمن آل فرعون تؤكد الفكرة الإسلامية التي ترفض اعتبار البيئة عنصراً حاسماً يشلّ عنصر الاختيار والإرادة فيما يتّخذ من مواقف، وفيما يقوم به من أعمال، ليكون ذلك مبرراً شرعياً للانحراف من جهة، ودليلاً على الاتجاه الجبري الفلسفي الذي ينكر على الإنسان حريته، من موقع البيئة التي تسيطر على تفكيره وتوجّه إرادته في اتّجاهها المعين، سواءً منها المنحرف أم المستقيم.

إنَّ وجود مثل هذا الإنسان الذي يولد في مجتمع الشرّ، أو مثل امرأة فرعون التي تعيش تحت ضغط هذا المجتمع يؤكد الفكرة التي تعتبر جوّ الشرّ عنصر تشجيع للشرّ.. يضعف المقاومة، ولكنّه لا يلغيها.. بل يُبقي للإنسان ممارسة الإرادة في ظلّ الظروف الصعبة التي تسمح للإنسان بتجربة الانتصار^(٦٥).

ومن ثمّ تمثّل موقف آل فرعون بدفاعه عن رسول الله موسى (عليه السلام)، وهو من خاصّة فرعون — وهذا أمر جدّ عجيب — كما تتمثّل بقوة استدلاله، ومعايشته المستمرة الدائمة لعلاقته بربه عملياً، وبصيرته الثاقبة بالأمر، واعتباره ببصائر الغابرين، وتأيد الله سبحانه لتقوّته الحكيمية، وعدم مبالاته بالأخطار المتوقّعة.

٣. موقف الذي جاء من أقصى المدينة يسعى :

وهو مذكور في الآية العشرين من سورة يس. قال تعالى: «وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ». وهذا الرجل هو حبيب النجار عن ابن عباس وجماعة من المفسرين. وكان قد آمن بالرسول عند ورودهم القرية. وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة. فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرسول وهموا بقتلهم جاء يعضد ويشدد ﴿قَالَ يَنْقُومِ الْمُتَكِبُونَ﴾ الذين أرسلهم الله إليكم وأقروا برسالتهم^(٦٦).

والدروس المستفادة من موقفه هي:

- أ. استثمار الفرصة في دعم رسل عيسى (عليه السلام) الذين بعثهم إلى أهل انطاكية؛ وإشعاره قومه بخطأ موقفهم من الرسل المذكورين.
- ب. تأثير الصوت الواحد في تراجع أمة عن عقيدتها المنحرفة أو تنازلها عن مبدئها أو تشكيكها في مذهبها؛ والتطبيق العملي للعقيدة النظرية.
- ج. ويستشف منه ثقتة التامة بصواب موقفه الذي دل عليه قدومه من أبعد نقطة في المدينة وسعيه الحثيث من أجل إعلام قومه وإبلاغهم باتباع الرسل.
- د. ويستنبط منه كذلك أنه لم يفكر بنفسه ومصالحته الذاتية بل فكر بقومه وبمصالحتهم إذ أراد إشراكهم في الاستضاءة بنور الإيمان وقبس العقيدة الصحيحة، وقصد خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة. وذلك سر مجده الذي خلده شعوره بوجوب أداء مهمته.

٤. موقف الناصح لموسى (عليه السلام) بالخروج من مصر بعد انتمار الملأ به ليقتلوه.

وهذا الموقف ذكرته الآية العشرون من سورة القصص. قال سبحانه:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَلَمَّا يَأْتِمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَيَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

وذلك بعد أن قتل (عليه السلام) قبطيًا من أقباط مصر. فتشاور الأعيان من آل فرعون ليقتلوه، فجاءه ذلك الرجل ناصحاً له بالخروج من مصر. وقيل: إن الرجل هو حزقيل مؤمن آل فرعون. وقيل: رجل اسمه شمعون. وقيل: سمعان^(٦٧). ومايهما هنا هو شعوره بالخطر على حياة موسى (عليه السلام)، وإسراعه إليه من أجل إنقاذ حياته. وقد خرج (عليه السلام)، فنجاً من القوم الظالمين.

وتكمن قيمة هذا الموقف في تقديم النصيحة وإرادة الخير للآخرين، وتوقي الخطر قبل وقوعه، وإنقاذ حياة نبي من أنبياء الله عليه (عليه السلام) بتفكير سليم وتدبير حكيم، وذلك من وحي الشعور الرسالي أو الإنساني. وهو يدل على أن الرجل شعر وكأنه مسؤول عن حياة موسى (عليه السلام). كما أن موقفه قد أحبط محاولة اغتيال دنيئة تستهدف رسولاً من أولي العزم (عليه السلام). وقد كاد لهم فأفح في كيد المحمود. ويُعد فضيلة أخلاقية تتمثل بإحياء نفس فيها إحياء الناس جميعاً لاسيما نفس مقدسة لنبي من أنبياء الله (عليه السلام) ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٦٨).

وقف امرأة فرعون إذ عرضت على فرعون وجنوده ألا يقتلوا موسى (عليه السلام) بعد أن التقطه آل فرعون.

وهذا الموقف الحميد الذي صنعه تلك المرأة الصالحة مذكور في الآية التاسعة من سورة القصص. قال جل شأنه: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَك لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّكَ أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِنَّكَ عَلَّمْتَنِي السِّحْرَ وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَأُطْمَعَتْهُ فِي الْوَلَدِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَصْحَابَ فِرْعَوْنَ لَمَّا عَلَّمُوا بِمُوسَى

جاءوا ليقتلوه فمنعتهم وقالت لفرعون: قرّة عين لي ولك لا تقتلوه. قال فرعون: قرّة عين لك، وأمّا لي فلا. قال رسول الله (ﷺ): والذي يُحلف به لو أقرّ فرعون بأن يكون له قرّة عين كما أقرّت امرأته لهداه الله به كما هداها، ولكنّه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه (وهم لا يشعرون) أي: لا يشعرون أنّ هلاكهم على يديه. وقيل: لا يشعرون أنّ هذا هو المطلوب الذي يطلبونه^(٦٩).

«وإنّما قالت ما قالت لأنّ الله سبحانه ألقى محبةً منه في قلبها فعادت لاتملك نفسها دون أن تدفع عنه القتل وتضمّه إليها... وقوله: (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) قالته لما رأت في وجهه من آثار الجلال وسيماء الجذبة الإلهية»^(٧٠).
لقد إنطلقت المرأة منطلقاً رسالياً أخلاقياً في موقفها، وشعرت بأنّ السكوت جريمة لا تُغتفر، وأحسّت بخطر فادح، فأدّت دوراً مشرفاً باقتراحها، وأنقذت حياة الطفل الصغير البريء. وحسبُ موقفها قيمةً أنّ هلاك فرعون وجنوده كان على يد ذلك الطفل. وذلك قدره وفضيلته (قدر الموقف وفضيلته).

٦. موقف ملكة سبأ حين أسلمت مع سليمان (ﷺ) ربه . العالمين:

وهذه الملكة هي بلقيس بنت شراحيل. وسبأ مدينة باليمن. وقصّتها مذكورة في إثنين وعشرين آيةً من سورة النمل. وهي من الآية الثالثة والعشرين إلى الآية الرابعة والأربعين. وما يرتبط بموضوعنا هنا هو الآية الرابعة والأربعون التي سجّلت موقفها. قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا ۖ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾.

استغاثت أولاً برّبها بالاعتراف بالظلم إذ لم تعبد الله من بدء، أو من حين رأت هذه الآيات، ثم شهدت بالإسلام لله مع سليمان.

وفي قوله: «وأسلمت مع سليمان لله» إلتفات بالنسبة إليه تعالى من الخطاب إلى الغيبة. ووجه الانتقال من إجمال الإيمان بالله إذ قالت: «ربّ إنّي ظلمت نفسي» إلى التوحيد الصريح فإنّها تشهد أنّ إسلامها لله مع سليمان فهو على نهج إسلام سليمان وهو التوحيد ثمّ تؤكد التصريح بتوصيفه تعالى بربّ العالمين فلا ربّ غيره تعالى لشيء من العالمين، وهو توحيد الربوبية المستلزم لتوحيد العبادة الذي لا يقول به مشرك^(٧١).

الآيات التي ذكرت قصّتها تدلّ على أنّ موقفها محمود. فقد ذكرت لملاها وصول كتاب سليمان (عليه السلام) إليها، أي: ما أخفته عليهم شأن كثير من الملوك، بل إهتمّت به وصرّحت بالقائه إليها، ثمّ وصفته بأنّه كتاب كريم وأنّه مبدوء بالبسملة، وهذا يدلّ على أدبها وحسن سيرتها. وبعد ذلك إستفتتهم عمّا تفعله، وهذا يرشد إلى أنّها كانت غير مستبدة في الحكم بل مستشيرة راغبة في إشراكهم في الرأي، ثمّ أرسلت هديتها إلى سليمان (عليه السلام) لتتظنّ نيتها، وهذا معلّم على تثبّتها وترويها قبل اتّخاذ القرار... ولما أتى الذي عنده علم من الكتاب بعرشها ورأت ما رأت إستجابت للحقّ وأعلنت إسلامها بعدما إعترفت بظلمها لنفسها. وقيمة موقفها أنّها لم تتعصّب ولم تعاند بل تسامحت وأجابت، وتفاعلت مع دعوة نبيّ من أنبياء الله سبحانه، فخلدت بجميل الذكر وحسن الثناء.

موقف النفر من الجن . الذي طلبوا من قومهم إجابة داعي الله . والإيمان بالقرآن

هذا الموقف مذكور في سورة الجنّ، وفي أربع آيات من سورة الأحقاف. وهي من الآية التاسعة والعشرين إلى الآية الثانية والثلاثين. قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ

مُنْذِرِينَ ﴿ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ يَنْقُومَنَا لِيَجْزِيَ دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِيَكَ مِنْ عَذَابِ الْبَرِّ ﴿ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝

إن هذا الاستماع كان له أثره البالغ في نفوسهم، صحَّ عقائدهم في الله، وطهر نفوسهم من الأوهام والخرافات المتعلقة بهم، وكملهم بالمعارف الصحيحة، واندفعوا به إلى إنذار قومهم فأرشدوهم إلى الحق في العقيدة، وإلى الحق في الرسالة، وإلى الحق في علاقتهم بالإنس، وإلى الحق في معرفتهم الغيب^(٧٢).

وحسبنا في بيان عظمة موقفهم وقيمتهم ما رواه محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: لما قرأ رسول الله (ﷺ) الرحمان على الناس سكتوا فلم يقولوا شيئاً. فقال رسول الله (ﷺ): الجن كانوا أحسن جواباً منكم. لما قرأت عليهم: ﴿فَإِيَّاءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبُونَ﴾، قالوا: لا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب^(٧٣).

وقال الشيخ محمود شلتوت: «وفي الحق أن في قصة الجن وتأثرهم بالقرآن على هذا النحو هزة عنيفة لإنسانية الجاحدين المستكبرين من الإنس. وفيها فوق ذلك من العبر ما يلقي الدجالين في كل عصر ومكان حجر الحق الذي يفتت أمعاءهم ويذهب بكيدهم ويفسد عليهم أمرهم في التسلط على عقول الضعفاء من الناس فاعتبروا يا أولي الأبصار»^(٧٤).

٨ . موقف أصحاب الكهف صياغة الكلام من قومهم:

تحدثت ثمانى عشرة آية من سورة الكهف عن قصتهم. وهي من الآية التاسعة إلى الآية السادسة والعشرين. وتطرقت كتب التفسير إليها مفصلاً. وتمثل موقفهم في اعتزالهم قومهم ولجؤهم إلى الكهف. ويرتبط بموضوعنا ثلاث آيات

وهي الآية العاشرة، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾. والآية الخامسة عشرة التي تحكي عن رأيهم في قومهم، قال سبحانه: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، والآية السادسة عشرة، وهي قوله جل ذكره: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾.

ويدل موقفهم على صلابة عقيدتهم، ورسوخ إيمانهم، وحبهم لدينهم، وإيثارهم ربهم على أنفسهم إذ ضحوا بها وبحياتهم فهاجروا هاجرين قومهم الذين اتخذوا آلهة من دون إلههم وربهم وخالقهم، معتزلين كل شيء في الحياة. وتكمن عظمتهم في أنهم استحبوا عبادة ربهم والالتقاط إليه على هذه الحياة الدنيا ولذاتها الفانية، واستوحشوا ما ألفه قومهم والناس أجمعون فاستأنسوا بهجرتهم واعتزالهم المحمود حباً لربهم. ولا يهون هذا أبداً إلا على فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى. فكيف يستوحش الإنسان من الانبساط ويستأنس بالاعتزال لولا الغيرة على الدين؟ وتلك قيمة موقفهم وقدره إذ ملكتهم الغيرة على دينهم فأنستهم راحة الحياة ورخاءها وزبرجها. أغارنا الله على ديننا كما أغار أصحاب الكهف رحمهم الله تعالى.

موقف الرجة. ١. من الذين أنعم الله عليهم فاقالا لبني اسرائيل: ﴿أَدْخُلُوا

عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِ عِلَابٌ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٧٥)

وذلك بعد أن عصى بنو اسرائيل موسى (عليه السلام) ورفضوا دخول القدس بسبب وجود القوم الجبارين فيها.

«وقد ذكر المعظم من مفسري الفريقين أنّ الرجلين هما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا، وهما من نقباء بني اسرائيل الاثني عشر»^(٧٦).

وأشار العلامة الطباطبائي إلى أنّ النعمة إذا أُطلقت في عرف القرآن يراد بها الولاية الإلهية. فهما كانا من أولياء الله تعالى، وهذا في نفسه قرينة على أنّ المراد بالمخافة مخافة الله سبحانه فانّ أولياء الله لا يخشون غيره^(٧٧).

وتألق موقفهما بقول الحق والأمر بالحق والاستعانة بالحق، والأمل بالنصر والغلبة، والإزدراء بالجبارين وامتهانهم واستصغار شأنهم. لقد عظم الله سبحانه وتعالى في أنفسهما فصغر الجبارون في أعينهما حقاً.

وهذه هي قيمة موقفهما إذ لم يكترثا بسطوة مزعومة وهيبة موهومة وأشعرا قومهما بسوء موقفهم من نبيهم (ﷺ). ودلّ موقفهما أيضاً على شجاعة وإقدام، لأنّ الاقتحام المصحوب بالتوكل على الله تعالى والثقة به ضامن للغلبة بشرط الإيمان. وما أراداه هو الإقدام على الاقتحام المذكور لنلّا يبقى نبيّ الله (ﷺ) وحده.

وعظم موقفهما هو حرصهما على وجوب إتباع كليم الله (ﷺ) والإمتثال لأوامره كي يتحقق هدف رسالته وتطبق التعاليم الإلهية كما يشاء الله سبحانه وتعالى فتصطبغ الحياة بصبغة ربّانية وتشيع القيم السماوية، ويكون الأمر كله لله ورسوله.

١٠ . موقف يلهذا ، وتوا العلم من قارون وزينته:

إنّ قصة قارون مذكورة في سبع آيات من سورة القصص. وهي تبدأ بالآية السادسة والسبعين، وتنتهي بالآية الثمانية والثمانين وإن كان للآية الثالثة والثمانين إرتباط بقصته نوعاً ما، لكن لما كان ظاهرها يدلّ على العموم، لم

ندخلها في العدد المذكور. وقصته ذات سماع، وهي زاخرة بالعبر والعظات، حافلة بالدروس الماثلات. بيد أن ما يرتبط بموضوع المقالة هو موقف قومه الذين قالوا له، حين بطر وطغى وعليهم بغى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾، وموقف الذين أوتوا العلم حين خرج ﴿عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ و﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَوْمُؤُنَا إِنَّهُ لَنَدُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾، قالوا: ﴿وَلَكُمْ ثَوَابٌ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

لقد نصحه قومه أن يترك البغي والاستعلاء عليهم، كما قدموا له نصيحة ثانية وهي ضرورة الاعتدال في سلوكه والتوازن في تصرفاته بقولهم له: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ حيث أرادوا له أن يجمع بين أمر الدنيا والآخرة فيما أعطاه الله، كما قدموا له نصيحة أخرى وهي عدم الفساد في الأرض، خاصة وإن الله أنعم عليه بهذه النعم العظيمة.. إلا أن الغرور والصلف ملك كل وجوده... (٧٨).

إن العظات المستنبطة من موقف عقلاء قومه هي أن الدنيا لا يصح الاطمئنان إليها، وأن أحوالها في تغير وتقلب، وأنه لا عاصم من شرها إلا الإيمان بالحق والعمل الصالح، وأن سعادة الإنسان إنما هي في أن يتخذ من يومه لغده، ومن دنياه لآخرته... وقيمة موقفهم أنهم قدرُوا الدنيا قدرها، وأدركوا منها مالا يدرك غيرهم، وأنبأوا ضعاف العقول من قومهم على تمنّيههم مثل ما أوتي قارون، وأكدوا لهم أن وراء هذه المظاهر الفاتنة الفانية ما هو أسمى منها، وهو معرفة حق الله في نعمه، وأن للبغي من العواقب ما يجدر بالعاقل أن يقدره، وأن يدخله في حسابهِ (٧٩).

إنهم لم يشعروا بالإسحاق والضعف النفسي أمام الثروة الطاغية، بل وقفوا أمامه وقفة رسالية تواجهه بالكلمة القويّة الناصحة المعبرة التي توحى له

بالخطّ الصحيح للسلوك العمليّ للإنسان إزاء ما يملك من الثروة. وذكرّوه باللّٰه الذي أعطاه الثروة بما مكّنه من أسبابها... وحذّروه من الفرح الطاعى الذي يملك أحاسيس الإنسان وأفكاره فيبطر ويزهو ويتكبّر... وأرشدوه إلى السبيل الأقوم في الالتزام بالأهداف الخيرّة للملكيّة الفرديّة للمال، حيث يربط أعماله كلّها بفكرة الدار الآخرة التي تدفعه إلى كلّ غاية صالحة... وأظهر موقفهم صورة الفئات الضعيفة التي تأخذ مظاهر الثروة بالبابها ومشاعرها، فتملك عليها كلّ كيائها وأفكارها، حتّى نحسّ بها في انهيار دائم أمام أيّ مظهر من المظاهر الاستعراضية التي يقوم بها أصحاب الثروة في المجتمعات الفقيرة كأسلوب من أساليب التحطيم النفسيّ للفقراء... وقد ضعفت أمام ثراء قارون منبهرّة، فوقف أولئك المؤمنون ليردّوها إلى واقع الحياة الصحيح. إنّها صورة الذين ينظرون إلى ظاهر الأمور، والذين ينظرون إلى باطنها... فهؤلاء يعيشون الشعور العاجل في إطار اللحظة الخاطفة، فتغريهم الحياة بكلّ مظاهرها وزخارفها. وأولئك ينفذون إلى أعماق الأمور، ويعيشون الشعور بالامتداد الزمنيّ للأشياء، ممّا يجعلهم يرونها على طبيعتها بعيداً عن أيّ تضخيم أو تهويل. ولهذا فهم يعرفون أنّ نهاية كلّ قوّة إلى الله، وأنّ ثواب الله — على هذا الأساس — هو الباقي للإنسان، لأنّ كلّ هذه المظاهر زائلة إن عاجلاً أو آجلاً^(٨٠).

نتيجة البحث:

إنّ من مفردات حبّ الله سبحانه أن نتلو كتابه، ونتربّي في أجوائه، ونعيش معه باستمرار. ومن بركات التلاوة والتربّي والعيش المتواصل الوقوف على آيات منه ناطقة بتعليم سامق من تعاليمه، ألا وهو الشعور بالمسؤوليّة، والمسؤوليّة كما يقول محمّد عبد الله دراز هي قبل كلّ شيء استعداد فطريّ تلزم

المرء أولاً ثمّ تجعله قادراً على أن يفي بالتزامه بوساطة جهوده الخاصة. ودلت الآيات بعد جولة هادفة في رحابها، ومحاولة استنطاقها، وبأسلوب استنباطي هادئ على ذلك الشعور وطبيعته وأهدافه ومظاهره ومثله الأعلى رسول الله (ﷺ)، وقطافه الدانية الشهيّة المتمثلة بتلك المواقف الرساليّة التي صنعها صالحون من مختلف الأمم، وهي من صميم القرآن، وفي ثنايا آياته. وصراحتها أبين من أن تحتاج إلى بيان لو تدبرنا وتأمّلنا بعمق. فهي ليست بدعاً بل تشرق وتزهر بالإبداع.

Abstract

This article deals with good attitudes which honest people, who have the sense of responsibility, has taken. The holy Quran praised these attitudes. The attitudes indicate a penetrating insight and a perception.

The article analyzes the above-mentioned attitudes, thus it shows one of the precious values of the Holy Quran. So it has a practical and organizational aspect which it is valuable in our society. Also it performs an important role in showing the high Quranic concepts.

According to the message of this article, All muslims must sense their responsibility, and must take good attitudes.

In fact, it devises dogmatical attitudes from many verses, and invites us to do so.

هوامش البحث

- ١ . الفرقان: ٣ .
- ٢ . المجلسي، بحار الأنوار ٩٢: ١٩ .
- ٣ . الكليني، الكافي ٢ / ٦٠٩ .
- ٤ . المجلسي، بحار الأنوار ٨٩ / ٢١٦ .
- ٥ . الأعراف: ١٩٩ .
- ٦ . المعجم الوسيط: ٤٨٤ — ٤٨٥ .
- ٧ . المعجم الوسيط: ٤١١ .
- ٨ . نهج البلاغة: الخطبة: ٣٥ .
- ٩ . نهج البلاغة، الخطبة: ٢٠٥ .
- ١٠ . نهج البلاغة، قسم الرسائل: ٤٧ .
- ١١ . نهج البلاغة، الخطبة: ١٦ .
- ١٢ . الصافات: ٢٤ .
- ١٣ . الإسراء: ٣٤ .
- ١٤ . آل عمران: ١٠٤ .
- ١٥ . المائدة: ٦٣ .
- ١٦ . هود: ١١٦ .
- ١٧ . التوبة: ١٢٢ .

- ١٨ . الواقعة: ٥٧ .
- ١٩ . الواقعة: ٦٢ .
- ٢٠ . الواقعة ٧٠ .
- ٢١ . العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان ١٧ : ١٣٢ .
- ٢٢ . الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان ٦ : ٤١٤ .
- ٢٣ . نفسه ٦ : ٤١٤ .
- ٢٤ . ابن هشام، مغني اللبيب ١ : ٣٦١ .
- ٢٥ . الزمر: ١٧، ١٨ .
- ٢٦ . الإسراء ١٠٧، ١٠٩ .
- ٢٧ . الأعراف: ١٦٤ .
- ٢٨ . الصحيفة السجادية: دعاء يوم الجمعة .
- ٢٩ . طه: ١، ٢ .
- ٣٠ . الكهف: ٦ .
- ٣١ . الشعراء: ٣ .
- ٣٢ . فاطر: ٨ .
- ٣٣ . النحل: ٣٧ .
- ٣٤ . التوبة: ١٢٨ .
- ٣٥ . يوسف: ١٠٣ .
- ٣٦ . آل عمران: ١٧٦ .
- ٣٧ . المائدة: ٤١ .
- ٣٨ . الأنعام: ٣٣ .
- ٣٩ . يونس: ٦٥ .
- ٤٠ . لقمان: ٢٣ .
- ٤١ . يس: ٧٦ .
- ٤٢ . النحل: ١٢٧ .
- ٤٣ . النمل: ٧٠ .
- ٤٤ . الميزان ١٤ : ١١٩ .
- ٤٥ . مجمع البيان ٦ : ٤٥٠ .

- ٤٦ . نفسه، ٧: ١٨٤.
- ٤٧ . ورد الحديث بألفاظ متباينة في صحيح البخاريّ، كتاب الشهادات، رقم ٢٦٨٦؛ وفي المعجم الأوسط للطبراني ٣: ١٤٩ وغيرهما.
- ٤٨ . المائدة: ٢٣.
- ٤٩ . الزمر: ٢٣.
- ٥٠ . الفرقان: ٦٣.
- ٥١ . الكهف: ٣٧.
- ٥٢ . طه: ٥٧ — ٧٦.
- ٥٣ . الزمخشريّ، الكشّاف ٢: ٤٨٦.
- ٥٤ . نهج البلاغة: الخطبة ٤.
- ٥٥ . الشيخ محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ٤٠.
- ٥٦ . الفخر الرازي، التفسير الكبير ٢٢: ٨٦.
- ٥٧ . الشيخ محمود شلتوت، إلى القرآن الكريم: ١٠٧.
- ٥٨ . السيد محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن: ٢٧١.
- ٥٩ . السيد محمد حسين الطباطبائيّ، الميزان ٩: ٢١٨.
- ٦٠ . السيد محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن: ٢٧٣ — ٢٧٤.
- ٦١ . الفخر الرازي، عجائب القرآن: ٦٢.
- ٦٢ . الزمخشريّ، الكشّاف ٢: ٤٨٨ — ٤٨٩.
- ٦٣ . الشيخ محمود شلتوت، إلى القرآن الكريم: ١٣١ — ١٣٢.
- ٦٤ . عبداللطيف الرازي، المنهج الحركي في القرآن الكريم: ١٣١.
- ٦٥ . محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن: ٣٨٩ — ٣٩٠.
- ٦٦ . الفضل بن الحسن الطبرسيّ، مجمع البيان ٨: ٤١٩.
- ٦٧ . الطبرسيّ، مجمع البيان ٧: ٢٤٦.
- ٦٨ . المائدة: ٣٢.
- ٦٩ . الطبرسيّ، مجمع البيان ٧: ٢٤١.
- ٧٠ . العلامة الطباطبائيّ، الميزان ١٦: ١١، ١٢.
- ٧١ . نفسه، ١٥: ٣٦٧.
- ٧٢ . الشيخ محمود شلتوت، إلى القرآن الكريم: ١٧٢.

٧٣ . الطبرسي، مجمع البيان ٩: ٩٣.

٧٤ . إلى القرآن الكريم: ١٧٤.

٧٥ . المائدة: ١٣.

٧٦ . العلامة الطباطبائي، الميزان ٥: ٢٩٢.

٧٧ . الميزان ٥: ٢٩١.

٧٨ . المنهج الحركي في القرآن: ٢٥٢ - ٢٥٣.

٧٩ . إلى القرآن الكريم: ١٢١.

٨٠ . الحوار في القرآن: ٣٤٥. ٣٤١.

قائمة المصادر والهوامش

- القرآن الكريم
- نهج البلاغة
- ابن هشام الانصاري، جمال الدين، مغني اللبيب، قم، انتشارات سيد الشهداء، ١٤١٢ هـ .
- البهي، محمد، منهج القرآن في تطوير المجتمع، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٣ هـ .
- دراز، محمد عبدالله، دستور الأخلاق في القرآن، تعريب عبدالصبور شاهين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الكويت، دار البحوث العلمية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- الراضي، عبداللطيف، المنهج الحركي في القرآن الكريم، بيروت، دار التعارف، ١٩٩١ م .
- ري شهري، محمد، ميزان الحكمة، قم، دار الحديث، ١٤٢٠ هـ .
- الزمخشري، محمود، الكشف، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٨ هـ.
- شلتوت، محمود، إلى القرآن الكريم، طهران، معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية (في منظمة الإعلام الإسلامي)، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، طهران، مكتبة العلمية الإسلامية، بلا تاريخ.
- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، مؤسسة اسماعيليان، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- الفخر الرازي، محمد، التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ.
- الفخر الرازي، محمد، عجائب القرآن، بيروت، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٢ هـ.
- فضل الله، محمد حسين، الحوار في القرآن، بيروت، الدار الإسلامية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- الكليني، محمد، الكافي، قم، دار الحديث، ١٤٢٩ هـ.
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ هـ.
- مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، طهران، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٤٠٨ هـ.